فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

١- آدم عليه السلام
٢- نوح عليه السلام
٣- هود عليه السلام
٤- صالح عليه السلام
٥- إبراهيم عليه السلام
٦- إسماعيل عليه السلام
٧- يُوسُف عليه السلام
٨- شُعيب عليه السلام
٩- أيّوب عليه السلام
١٠- يونُس عليه السلام
١١- موسى عليه السلام
١٢- داود عليه السلام
١٣- سُليمان عليه السلام
١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
١٥- عيسى عليه السلام
١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرَت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (**وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاثُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلمُؤْمِنِيْن**)

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال

فجر الهدى والإيمان

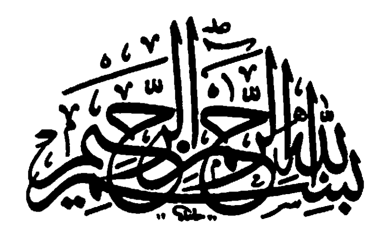
من قصص الأنبياء عليهم السلام

داود عليه السلام

الأواه لله تعالى



إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار :

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داودُ النبيُّ والملكُ

هُوَ دَاوُدُ بنُ إيْشَا وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى يَعْقُوبَ بنِ إسْحَاقَ ابنِ إبْرَاهِيْمَ الخَلِيْل عَلَيْهمُ السَّلامُ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ عَزَّ وَجَل لهُ بَيْنَ المُلكِ وَالنُّبُوَّةِ، وَبَيْنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إذْ كَانَ المُلكُ يَكُوْنُ فِيْ أحَدِ بَنِيْ إسْرَائِيْل، وَالنُّبُوَّةُ فِيْ آخَرَ، وَلكِنَّهُمَا اجْتَمَعَا فِيْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ. يَقُوْل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ:

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ[1] وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

---

(١) الحكمة: النبوة.

(٢) سورة البقرة / ٢٥١/ .

داودُ الأوَّابُ

كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ، كَثِيرَ العِبَادَةِ كَثِيْرَ الصِّيَام، مَنَحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل القُوَّةَ فِي العِبَادَةِ وَالعَمَل الصَّالحِ، وَسَخَّرَ لهُ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ اللهَ بِالعَشِيِّ وَالإشْرَاقِ، وَوَهَبَهُ صَوْتَاً عَظِيْمَاً، فَإذَا تَرَنَّم بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ «الزّبُور» وَقَفَ الطَّيْرُ يُسَبِّحُ بِتَسْبِيْحِهِ. يَقُوْل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا[1] ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ[2] ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً[3] ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[4].

وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ أَحَادِيْثِ رَسُوْل اللهِ، ﷺ أَنَّهُ قَال:

«أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَام إلى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ. كَانَ يَنَامُ نِصْفَ الليْل، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَكَانَ يَصُوْمُ يَوْمَاً وَيُفْطِرُ يَوْمَاً...».

وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ، حَاكِمَاً عَادِلاً مُتَّبِعَاً للحَقِّ المُنَزَّل

---

(١) ذا الأيد: القوة في العبادة.

(٢) أواب: رجَّاع إلى مرضاة الله.

(٣) محشورة: مجموعة.

(٤) سورة: ص / ١٧ ـ ٢٠/.

مِنَ اللهِ، فَاقْتَدَى بِهِ النَّاسُ فِيْ عَدْلِهِ وَكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ، فَكَانَتْ لا تَمْضِيْ سَاعَةٌ مِنَ الليْل أوِ النَّهَارِ إلاَّ وَهُوَ مُتَعَبِّدٌ مَعَ أهْلِهِ، شَاكِرٌ اللهَ عَزَّ وَجَل عَلى نِعَمِهِ، قَال تَعَالى:

﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[1].

طالُوتُ وداودُ

انْحَرَفَ بَنُو إسْرَائِيْل عَنْ شَرِيْعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل، فَسَلَّطَ اللهُ عَليْهِمْ أقْوَاماً غَلبُوْهُمْ عَلى أمْرِهِمْ، وَأخْرَجُوْهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَظَلُّوا عَلى ذَلكَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ، حَتَّى كَانَ نَبِيُّهُمْ "صَمُوِيْل" فَاجْتَمَعُوا حَوْلهَ وَفَزِعُوا إليْهِ وَطَلبُوا مِنْهُ أنْ يَخْتَارَ لهُمْ مَلِكاً، يَخْضَعُونَ لسُلطَتِهِ وَيَأْتَمِرُوْنَ بِأَمْرِهِ، لعَلَّهُمْ بِهِ يَغْلبُونَ العَدُوَّ. وَلكِنَّ صَمُوِيْل كَانَ قد خَبِرَهُمْ وَعَرَفَ خبايا أنفسهِم وتوقَّع أن يتخاذلوا إذا كُتِبَ عليهمُ القتال فقالوا له:

- كَيْفَ نَتَخَاذَل وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا؟ وَمَاذَا عَسَانَا نَفْعَل بَعْدَ هَذَا الذُّل الذِيْ ابْتُليْنَا بِهِ غَيْرَ الدِّفَاعِ عَنْ أنْفُسِنَا؟.

فَتَوَجَّهَ صَمُوِيْل إلى اللهِ عَزَّ وَجَل يَسْتَوْحِيْهِ فِيْ شَأنِهِمْ، فَأوْحَى اللهُ إليْهِ:

---

(١) سورة: سبأ / ١٣/.

- إنّي اخْتَرْتُ طَالوْتَ مَلِكاً عَليْهِمْ، يَقُوْل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾[1].

وَلمْ يَكُنْ طَالوْتُ هَذَا غَنِيّاً، وَافِرَ المَال، وَإِنَّمَا كَانَ فَقِيْراً، يَرْعَى المَاشِيَةَ لأَبِيْهِ، بَل لَمْ يَكُنْ مَعْرُوْفاً ذَائِعَ الصِّيْتِ، وَلكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل، رَزَقَهُ مَيْلاً إلى الحَرْبِ، فَكَانَ عَارِفاً بِالحُرُوْبِ قَائِدَاً مُحنَّكَاً، وَعِنْدَمَا أَخْبرَ صَمُوِيْل بَنِيْ إسْرَائِيْل، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل قَدِ اخْتَارَ طَالوْتَ مَلِكاً عَليْهِمْ، ذُهِلُوا وَعَبَّرُوا عَنْ رَفْضِهِمْ وَغَضَبِهِمْ فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلهِ:

- يَا قَوْمُ إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل قَدِ اخْتَارَهُ لكُمْ وَهُوَ أَعْلمُ بِبَوَاطِنِ الأمُوْرِ وَبِمَصَالحِكُمْ وَليْسَ لكُمْ أَنْ تَرْفُضُوا مَاأَمَرَ اللهُ بِهِ.

---

(١) سورة البقرة الآية / ٢٤٦، ٢٤٧/.

وَهَكَذَا أَصْبَحَ طَالوْتُ مَلِكَاً عَلَيْهِمْ، فَأَحْسَنَ قِيَادَةَ الجُنُوْدِ، وَتَجهَّزَ مَعَ قَوْمِهِ لِمُلاقَاةِ الأَعْدَاءِ الذِيْنَ كَانَ يَتَزَعَّمُهُم رَجُل قَوِيُّ الجِسْمِ، عَرِيْضُ المَنْكِبَيْنِ، شَدِيْدُ المِرَاسِ، فِي الحَرْبِ خَبِيْرٌ بِهَا، يُدْعَى «جَالوْتَ» وَالتَقَى الجَمْعَانِ فِيْ حَرْبٍ وَطِيْسٍ[1]، وَعِنْدَمَا رَأَى بَنُوْ إِسْرَائِيْل فِيْ أَعْدَائِهِمْ رِجَالاً أَشِدَّاءَ، يَجُوْلُون وَيَصُوْلونَ فِيْ أَرْضِ المَعْرَكَةِ، انْقَسَمُوا إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ مِنْهُمُ ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ، وَخَافُوا وَجَبُنُوا فَتَرَاجَعُوا عَنْ سَاحَةِ المَعْرَكَةِ، كَمَا أَخْبَرَنَا اللهُ عَزَّ وَجَل بِقَوْلِهِ:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[2].

وَقِسْمٌ مِنْهُمْ مَلأَ اللهُ قُلوبَهُم بِالإِيْمَانِ وَالصَّبْرِ، فَظَلوا صَامِدِيْنَ صَابِرِينَ يُقَاتِلون فِيْ سَبِيْلِ اللهِ. وَيَقْتَحِمُونَ سَاحَاتِ الوَغَى[3]، غَيْرَ وَجِليْنَ أَوْ خَائِفِيْنَ، يَطْلبُونَ المَوْتَ فِيْ سَبِيْل اللهِ، وَعِنْدَمَا رَأَى جَالوتُ أَنَّ المَعْرَكَةَ سَتَطُوْل، ظَهَرَ يَدْعُو للمُبَارَزَةِ، فَأَحْجَمَ القَوْمُ وَخَافُوا بَطْشَهُ وَقُوَّتَهُ. عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمَ النَّبِيُّ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ، يَسْتَطْلعُ الأَمْرَ، وَيَسْتَفْهِمُ عَنْ هَذَا الذِيْ خَافَهُ النَّاسُ وَخَشُوا

---

(١) حرب وطيس: حرب شديدة.

(٢) سورة البقرة (٢٤٩).

(٣) ساحات الوغى: ساحات المعارك.

لِقَاءَهُ، فَقَالوا لهُ:

ـ هَذَا جَالوتُ زَعِيْمُ الأعْدَاءِ، مَابَرَزَ إلَيْهِ رَجُلٌ إلا رَدَّهُ جَرِيْحَاً أوْ قَتِيلاً، فَالنَّاسُ لهُ خَاضِعُونَ مُسْتَسْلِمُونَ. وَقَدْ جَعَل المَلكُ طَالوتُ لمَنْ يَقْتُل جَالوتَ وَيُخَلِّصُ المُؤْمِنِيْنَ شَرَّهُ وَكَيْدَهُ، مُكَافَأةً عَظِيْمَةً وَهِيَ: أنْ يُزَوِّجَهُ إحْدَى بَنَاتِهِ، وَيَجْعَل المُلْكَ لهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَدَبَّتِ الحَمِيَّةُ فِيْ نَفْسِ دَاوُدَ عَليْهِ السَّلامُ، وَصَمَّمَ عَلى أنْ يُخَلِّصَ شَعْبَهُ مِنْ هَذَا الفَارِسِ الرِّعْدِيْدِ، فَطَلَبَ مِنْ طَالُوْتَ أنْ يَأْذَنَ لَهُ لِمُلاَقَاةِ جَالُوْتَ، فَاسْتَخَفَّ طَالُوْتُ بِهِ، وَهُوَ الفَتَى الغِرُّ الذِيْ لمْ يَتَدَرَّبْ بَعْدُ عَلى فُنُوْنِ القِتَال وَالمُرَاوغَةِ، وَلكِنَّ دَاوُدَ عَليْهِ السَّلامُ، أصَرَّ عَلى مُنَازَلةِ جَالوتَ قَائِلاً لِلمَلِكِ:

لا تَسْتَخِفَّ بِيْ أيُّها المَلِكُ، فَرَغْمَ صِغَرِ سِنِّي، وَضَعْفِ جِسْمِيْ، إلا أنِّيْ سَأنْتَصِرُ عَليْهِ، ذَلكَ لأنَّ الإيْمَانَ يَغْمُرُ قَلبِيْ وَالحِقْدَ الدَّفِيْنَ عَلى الأعْدَاءِ يَغْليْ فِيْ صَدْرِيْ، وَعِنْدَمَا رَأى طَالوْتُ تَصْمِيْمَ دَاوُدَ عَلى القِتَال، مَنَحَهُ ثِيَابَهُ وَتُرْسَهُ وَسَيْفَهُ، إلا أنَّ دَاوُدَ ألقَاهَا جَمِيْعَاً، وَذَهَبَ إلى عَدُوِّهِ جَالوْتَ، مُتَسَلِّحَاً بِمِقْلاعٍ وَبَعْضِ الأحْجَارِ، وَعِنْدَمَا رَآهُ جَالوْتُ سَخِرَ بِهِ وَاسْتَهْزَأَ بِمِقْلاعِهِ وَحَجَرِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ دَاوُدَ إلا أنْ تَنَاوَل حَجَرَاً وَوَضَعَهُ فِي المِقْلاعِ وَأطْلقَهَا، فَأصَابَتْ جَالوْتَ إصَابَةً قَاتِلةً، ثُمَّ أتْبَعَهُ بِأُخْرَى وَأُخْرَى إلى أنْ سَقَطَ صَرِيْعَاً عَلى الأرْضِ، فَانْتَصَرَتْ

رَايَةُ الْحَقِّ وَانْهَزَمَ الأَعْدَاءُ، وَاجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيْلَ حَوْلَ دَاوُدَ، وَائْتَلَفَتْ عَلى مَحَبَّتِهِ القُلوْبُ، فَمَنَحُوْهُ الحُبَّ وَالوُدَّ وَالإِخْلاصَ، وَصَارَ حَدِيْثَ القَوْمِ، وَمِحْوَرَ اهْتِمَامِهِمْ، يُشَارُ إليْهِ بِالبَنَانِ[1]، وَوَفَى طَالوْتُ بِوَعْدِهِ وَزَوَّجَ ابْنَتَهُ إلى دَاوُدَ عَليْهِ السَّلامُ، وَعَاشَ مَعَهَا سَعِيْدَاً هَانِئَاً لكِنَّ السَّعَادَةَ وَالهَنَاءَةَ لاتَدُوْمُ، فَقَدْ تَغيَّرَ طَالوْتُ، وَامْتَلأَ قَلبُهُ حِقْدَاً وَغَيْرَةً، مِنْ دَاوُدَ عَليْهِ السَّلامُ، بَعْدَ أنِ انْفَضَّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ، إثْرَ الانْتِصَارِ الذِيْ حَقَّقَهُ دَاوُدُ عَليْهِ السَّلامُ، وَعَزَمَ عَلى التَّخَلُّصِ مِنْهُ فَدَعَاهُ إليْهِ ذَاتَ يَوْمٍ قَائِلاً:

ـ يَا دَاوُدُ إنَّ الأَعْدَاءَ قَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ وَجَمَعُوا جُمُوْعَهُمْ يُرِيْدُوْنَ قِتَالنَا، فَاذْهَبْ إليْهِمْ وَلا تَعُدْ إلا مُنْتَصِراً، أَوْ مَحْمُوْلاً عَلى الأَكْتَافِ، وَحَسِبَ طَالوْتُ أنَّهُ قَدْ تَخَلَّصَ مِنْهُ، فَهُوَ حَسَبَ زَعْمِهِ، لنْ يَعُوْدَ أَبَدَاً وَلكِنَّ دَاوُدَ عَليْهِ السَّلامُ، حَمَلَ عَلى الأَعْدَاءِ، فَانْتَصَرَ عَليْهِمُ انْتِصَاراً عَظِيْمَاً، وَعِنْدَمَا سَمِعَ طَالوْتُ بِانْتِصَارِهِ عَزَمَ هَذِهِ المَرَّةَ أنْ يَقْتُلَهُ بِنَفْسِهِ، وَعَلمَتْ زَوْجَةُ دَاوُدَ بِنِيَّةِ أَبِيْهَا، فَنَصَحَتْ زَوْجَهَا بِالهَرَبِ نَجَاةً بِحَيَاتِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ دَاوُدَ إلا أنْ تَجَهَّزَ هَارِباً فِيْ غَلَسِ[2] الليْلِ، فَأَوَى إلى مَكَانٍ بَعِيْدٍ سَرْعَانَ مَا عَرَفَهُ بَنُوْ إِسْرَائِيْل، فَهُرِعُوا إليْهِ، تَارِكِيْنَ طَالوْتَ فِيْ

---

(١) البنان: الأصابع.

(٢) غلس الليل: ظلام الليل.

كَمدِهِ وَغَيْظِهِ، الذِيْ تَجَهَّزَ مَعَ قَوْمِهِ الضَّالِيْنَ، يُرِيْدُ مُقَاتَلَةَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَخَرَجَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَيْلاً يَبْحَثُ عَنْ طَالوْتَ، الذِيْ أَرْهَقَهُ المَسِيْرُ فنَامَ، فَتَسَلَّلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَيْهِ وَاسْتَلَّ رُمْحَهُ وَخَرَجَ، وَعِنْدَمَا أَفَاقَ طَالوْتُ سَأَل عَنْ رُمْحِهِ، فَأَخْبَرَهُ رَسُوْلٌ بَعَثَهُ دَاوُدُ إِلَيْهِ قَائِلاً:

ـ يَا طَالوْتُ هَذَا رُمْحُكَ، وَقَدْ مَكَّنَ اللهُ لدَاوُدَ مِنْ رَأسِكَ، إلا أَنَّهُ عفَا عَنْكَ، وَقَدْ كَانَ قَادِراً عَلى قَتْلكَ، فتَأَثَّرَ طَالوْتُ بِهَذَا الكَلامِ، تَأَثُّراً شَدِيْدَاً، وَعَرَفَ سُوْءَ نِيَّتِهِ، وَبَاطِلَ أَفْعَالهِ فَنَدِمَ أَشَدَّ النَّدَامَةِ، وَهَامَ عَلى وَجْهِهِ فِي الصَّحْرَاءِ يَطْلُبُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَل المَغْفِرَةَ، وَيَتَوَسَّل مِنْهُ التَّوْبَةَ حَتَّى مَاتَ.

أَمَّا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيْل، مُبَايِعِيْنَ وَأَيَّدَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل بِالمُلكِ وَالحِكْمَةِ.

نِعَمُ اللهِ عَلَى دَاوُدَ

إِنَّهَا نِعْمَةٌ كَبِيْرَةٌ غَمَرَ اللهُ بِهَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهِيَ أَنْ تُشَارِكَهُ الجِبَالُ تَسْبِيْحَهُ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ (سبأ: ١٠).

وَلمْ يَكُنْ هَذَا التَّسْبِيْحُ خَاصّاً بِالجِبَال وَحْدَهَا، بَل كَانَ للطُّيُوْرِ

مُشَارَكَةٌ فِيهِ أَيْضاً ﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ١٩).

وَنَحْنُ عَلى ثِقَةٍ بِأَنَّ كُل شَيْءٍ يُسَبِّحُ رَبَّهُ وَيُنَزِّهُهُ، ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤).

أَمَّا سَيِّدُنَا دَاوُدُ فَكَانَ بَيْنَه وَبَيْنَ الجِبَال وَالطُّيُوْرِ انْسِجَامٌ فِي التَّسْبِيْحِ فَهُو يُسَبِّح وَ هِيَ تُؤَوِّبُ وَعُلِّمَ دَاوُدُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (النمل: ١٦).

فَالظَّاهِرُ أَنَّ سُليْمَانَ وَرِثَ عَنْ أَبِيْهِ العِلمَ وَالحِكْمَةَ، وَمِنْهَا مَا عُلِّمَهُ مِنْ مَنْطِقِ الطَّيْرِ وَأُلِيْنَ لَهُ الحَدِيْدُ ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سبأ: ١٠ ـ ١١).

فَكَانَ فِيْ يَدِهِ كَالشَّمْعِ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ إِحْمَاءٍ أَوْ طَرْقٍ.

وَلَعَل فِيْ هَذِهِ الآيَةِ مَا يُشِيْرُ إلى التَّقَدُّم الحَضَارِيِّ الذِيْ وَصَل إِلَيْهِ النَّاسُ فِيْ ذَاكَ الحِيْنِ، وَقَدْ أَفَادَ مِنْ ذَلكَ فَصَنَعَ الدُّرُوْعَ المُرَكَّبَة مِنْ حِلَقِ الحَدِيْدِ ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠).

وَشَدَّدَ اللهُ مُلكَهُ، وَنَصرَهُ عَلى مُناوِئيهِ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ (ص: ٢٠).

أيْ قَوَّيْنَاهُ بِالهَيْبَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَكَثْرَةِ الجُنُوْدِ. وَآتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ وَفَصْل الخِطَابِ: أيِ النُّبُوَّةَ وَالقُدْرَةَ عَلى التَّمْييز بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ. وَأعْطَاهُ الزَّبُوْرَ كَمَا فِيْ قَوْلهِ تَعَالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣).

وَهُوَ عِبَارَةٌ عن قَصَائِدَ وَأنَاشِيْدَ، تَتَضَمَّنُ تَسْبِيْحَ اللهِ وَحَمْدَهُ، وَالتَّضَرُّعَ لهُ، وَبَعْضَ أخْبَارٍ مُسْتَقِلةٍ، كَمَا قَال تَعَالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

أيْ أنَّهُ تَضَمَّنَ الإخْبَارَ بِشَأنِ النَّبِيِّ الآتِي (مُحَمَّدٍ) ﷺ، وَأصْحَابِهِ كَمَا فِي الزَّبُوْرِ الخَامِسِ وَالأرْبَعِيْنَ.

وَكَانَ دَاوُدُ عَليْهِ الصَّلاةُ وَ السَّلامُ حَسَنَ الصَّوْتِ، حَسَنَ الإنْشَادِ، حَتَّى إنَّهُ إلى اليَوْمِ مَضرِبٌ للمَثَل بِحُسْنِ الصَّوْتِ فَيُقَال للحَسَنِ الصَّوْتِ: إنَّهُ أعْطِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيْرِ دَاوُدَ عَليْهِ السَّلامُ.

مَكَانُ العِبْرَةِ مِنْ قِصَّةِ دَاوُدَ عَليْه السَّلامُ

١ ـ إنَّ دَاوُدَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ اخْتَارَهُ اللهُ تَعَالى ليَفْعَل العَجَائِبَ بِيَدِهِ، وَلمْ يَكُنْ مِنْ أهْل تِلكَ الأفْعَال، لأنَّهُ كَانَ غُلاماً رَاعِياً للغَنَمِ، فَقَتَل اللهُ تَعَالى بِيَدِهِ جَالوْتَ الجَبّارَ، الذِيْ تَحَامَتْهُ الأبْطَال، وَلمْ يُقَاتِلهُ بِسَيْفٍ أوْ رُمْحٍ، وَلمْ يَنْزِل إليْهِ بِدِرْعٍ وَلا تُرْسٍ، وَإنَّمَا قَتَلهُ بِحَجَرٍ أرْسَلهُ مِنَ المِقْلاعِ، فَكَانَ ذَلكَ أدَلَّ عَلى قَهْرِ اللهِ تَعَالى للجَبَابِرَةِ بِأحْقَرِ الأشْيَاءِ عَلى يَدِ أضْعَفِ العِبَادِ.

٢ ـ إنَّ الشَّخْصَ الضَّعِيْفَ لا يَنْبَغِي لهُ أنْ يَيْئَسَ مِنَ النَّجَاحِ، وَإحْرَازِ أسْبَابِ الفَلاحِ، مَادَامَ مُعْتَصِماً بِأسْبَابِ التَّقْوى، وَالشُّكْرِ لِنِعَمِ اللهِ تَعَالى.

٣ ـ إنَّ انْتِصَارَ دَاوُدَ عَلى جَالوْتَ لمْ يُغَيِّرْ مِنْ طِبَاعِ دَاوُدَ وَلمْ يَذْهَبْ بِهِ مَذْهَبَ أهْل الكِبْرِيَاءِ، بَل لمْ يَزِدْهُ هَذَا الأمْرُ إلاّ تَوَاضُعاً، وَكَانَ اللهُ يَرْفَعُهُ دَرَجَاتٍ كَلَّمَا تَوَاضَعَ وَشَكَرَ.

٤ ـ إنَّ طَاعَةَ اللهِ تَعَالى، وَشُكْرَ نِعَمِهِ، مِمَّا يُوْجِبُ المَزِيْدَ مِنْهَا، فَإنَّ اللهَ تَعَالى لمَّا رَأى طَاعَةَ دَاوُدَ، وَشُكْرَهُ زَادَهُ مِنْ نِعَمِهِ، فَألانَ لهُ الحَدِيْدَ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوْعِ المَسْرُوْدَةِ، لِتُحْصِنَ النَّاسَ مِنَ البَأسِ، وَأنْعَمَ عَليْهِ بِوَلدِهِ سُليْمَانَ، الذِيَ

وَرِثَهُ مُلكَه، وَعِلمَهُ، وَحِكْمَتَهُ.

٥ ـ حَفِظَ اللهُ دَاوُدَ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ وَوَقَاهُ مِنَ الزَّلل، وَعَصَمَهُ مِنَ الخَطَأ، فَأرْسَل إليْهِ مَلكَيْنِ على صُوْرَةِ إنْسَانَيْنَ لِيَدُلاَّهُ على الصَّوَابِ: يَقُوْل سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِيْ كتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ[1] ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ[2] لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ[3] دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ[4] وَحُسْنَ مَـَٔابٍ[5]﴾[6].

---

(١) عزني في الخطاب: أي غلبني في الجدال.

(٢) الخلطاء: الشركاء.

(٣) ظن: أيقن.

(٤) لزلفى: زيادة الخير في الدنيا.

(٥) مآب: مرجع في الآخرة.

(٦) سورة: ص الآية (٢١ ـ ٢٥).

أصحابُ القرية

اخْتَارَ بَنُو إسْرَائِيْل يَوْمَ السَّبْتِ يُقَدِّسُوْنَهُ، وَخَصَّصُوْهُ لِعِبَادَتِهِمْ وَلِطَاعَتِهِمْ، وَمَرَّتْ بِهِمُ الأيَّامُ وَالسِّنُوْنَ، وَهُمْ عَلى تَقْدِيْسِهِمْ لِيَوْمِ السَّبْتِ سَائِرُوْنَ.

وَفِيْ قَرْيَةٍ يُقَال لهَا /أَيْلَةُ/ عَلى شَاطِىءِ البَحْرِ الأحْمَرِ، كَانَ يَسْكُنُهَا قَوْمٌ مِنْ سُلالةِ بَنِي إسْرَائِيْل، فِيْ عَهْدِ دَاوُدَ عَليْهِ السَّلامُ.

وكَانَتِ الحِيْتَانُ تَقْتَرِبُ مِنَ الشَّاطِىءِ يَوْمَ السَّبْتِ، فَتَأنَسُ وَتَتكَاثَرُ، وَالنَّاسُ حِيْنَئِذٍ لا يَسْتَطِيْعُونَ صَيْدَها، لأنَّهُ مُحَرَّمٌ عَليْهِمْ أنْ يُمَارِسُوا الصَّيْدَ فِيْ هَذَا اليَوْمِ، فَإذَا جَاءَ يَوْمُ الأحَدِ عَادَتِ الحِيْتَانُ إلى عَرْضِ البَحْرِ.

وَلكِنَّ الفُسَّاقَ مِنْ أهْل هَذِهِ القَرْيَةِ، نَسُوْا تَعَاليْمَ أنْبِيَائِهِمْ، وَجَرَّهُمُ الطَّمَعُ إلى أنْ يَصِيْدُوا الحِيْتَانَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَذَلكَ لِسُهُوْلَةِ صَيْدِهَا، وَعِنْدَمَا حَاوَل المُؤْمِنُون مِنْ أهْل هَذِهِ القَرْيَةِ صَدَّهُمْ عَنْ عَمَلِهِم هَذَا، طَلبُوا مِنْهُمْ أنْ يَقْتَسِمُوا القَرْيَةَ، فَارْتَضَى المُؤْمِنُوْن أنْ يُقَاسِمُوْهُمُ القَرْيَةَ، وَاسْتَمَرَّ الفُسَّاقُ فِيْ صَيْدِهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ، رَغْمَ مُحَاوَلاتِ المُؤْمِنِيْنَ زَجْرَهُمْ وَرَدْعَهُمْ عَنْ ذَلكَ، وَحَتَّى النَّبِيُّ دَاوُدُ عَليْهِ السَّلامُ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً، فَاتَّجَهَ إلى رَبِّهِ، يَسْتَنْصِرُهُ وَيَطْلبُ اللعْنَةَ عَليْهِمْ، فَأجَابَ اللهُ سُؤَالَهُ، وَحَقَّقَ أمَلهُ.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِيْ كِتَابِهِ العَزِيْزِ: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ(١) عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ(٢) ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ(٣) فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا(٤) وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ(٥) بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾(٦).

* * * * *

---

(١) وَاسْأَلْهُمْ: يا محمد.

(٢) حاضرة البحر: مجاورة لبحر القَلْزُومِ وهو البحر الأحمر.

(٣) يعدون، يعتدون.

(٤) شُرَّعاً: ظاهرة على الماء.

(٥) بئيس: شديد.

(٦) سورة الأعراف: (١٦٣ ـ ١٦٦).